

إذا عرف الإنسان قيمة شيء ما وأهميته حرص عليه وعزَّ عليه ضياعه وفواته، وهذا شيء يديه، فالمسلم إذا أدرك قيمة وقته وأهميته، كان أكثر حرصاً على حفظه واغتنامه فيما يقربه من ربه، وها هو الإمام ابن القيم رحمه الله يبين هذه الحقيقة بقوله: «وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الآليم، وهو يمرُّ بالسحاب، فمن كان وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته... فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأمانى الباطلة وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير من حياته».

ويقول ابن الجوزي: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قرية، ويقدم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل، وتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور بما لا يعجز عنه البدن من العمل».

ولقد عني القرآن والسنة بالوقت من نواح شتى وبصور عديدة، فقد أقسم الله به في مطالع سور عديدة بأجزاء منه مثل الليل، والنهار، والفجر، والضحى، والعصر، كما في قوله تعالى: (وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى)، (وَالْفَجْرُ وَبَيَّالٍ عَشْرٍ)، (وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ)، (وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ .) ومعروف أن الله إذا أقسم بشيء من خلقه دل ذلك على أهميته وعظمته، وليلفت الأنظار إليه وينبه على جليل منفعتة.

وجاءت السنة لتؤكد على أهمية الوقت وقيمة الزمن، وتقرر أن الإنسان مسئول عنه يوم القيامة، فعن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: { لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه } [رواه الترمذي وحسنه الألباني]. وأخير النبي ﷺ أن الوقت نعمة من نعم الله على خلقه ولا بد للعبد من شكر النعمة والاسئلت وذهبت. وشكر نعمة الوقت يكون باستعمالها في الطاعات، واستثمارها في الباقيات الصالحات، يقول ﷺ: { نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ } [رواه البخاري].

واجب المسلم نحو وقته

لما كان للوقت كل هذه الأهمية حتى إنه ليعبد هو الحياة حقاً، كان على المسلم واجبات نحو وقته، ينبغي عليه أن يدركها، ويضعها نصب عينيه، ومن هذه الواجبات:

● الحرص على الاستفادة من الوقت:

إذا كان الإنسان شديد الحرص على المال، شديد المحافظة عليه والاستفادة منه، وهو يعلم أن المال يأتي ويروح، فلا بد أن يكون حرصه على وقته والاستفادة منه كله فيما ينفعه في دينه ودينياه، وما يعود عليه بالخير والسعادة أكبر، خاصة إذا علم أن ما يذهب منه لا يعود. ولقد

كان السلف الصالح أحرص ما يكونون على أوقاتهم؛ لأنهم كانوا أعرف الناس بقيمتها، وكانوا يحرصون كل الحرص على ألا يمر يوم أو بعض يوم أو برهة من الزمان وإن قصرت دون أن يتزودوا منها بعلم نافع أو عمل صالح أو مجاهدة للنفس أو إساءة نفع إلى الغير، يقول الحسن: أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم.

● تنظيم الوقت:

من الواجبات على المسلم نحو وقته تنظيمه بين الواجبات والأعمال المختلفة دينية كانت أو دنيوية بحيث لا يطفى بعضها على بعض، ولا يطفى غير المهم على المهم.

يقول أحد الصالحين: «أوقات العبد أربعة لا خامس لها: النعمة، والبلية، والطاعة، والمعصية. والله عليك في كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية: فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنَّة من الله عليه أن هداه لها ووقفه للقيام بها، ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر، ومن كان وقته المعصية فسبيله التوبة والاستغفار، ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا والصبر».

● اغتنام وقت فراغه:

الفراغ نعمة يفضل عنها كثير من الناس فنراه لا يؤدون شكرها، ولا يقدرونها حق قدرها، فعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: { نعمتان من نعم الله مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ } [رواه البخاري]. وقد حث النبي على اغتنامها فقال: { اغتنم خمساً قبل خمس...، وذكر منها: وفراغك قبل شغلك } [رواه الحاكم وصححه الألباني].

يقول أحد الصالحين: «فراغ الوقت من الاشغال نعمة عظيمة، فإذا كفر العبد هذه النعمة بأن فتح على نفسه باب الهوى، وانجرَّ في قياد الشهوات، شَوَّ الله عليه نعمة قلبه، وسلبه ما كان يجده من صفاء قلبه».

فلا بد للعاقل أن يشغل وقت فراغه بالخير والا انقلبت نعمة الفراغ نقمة على صاحبها، ولهذا قيل: «الفراغ للرجال غفلة، وللنساء غلظة» أي محرك للشهوة.

أسباب تعين على حفظ الوقت

● محاسبة النفس:

وهي من أعظم الوسائل التي تعين المسلم على اغتنام وقته في طاعة الله. وهي دأب الصالحين وطريق المتقين، فحاسب نفسك أخي المسلم واسألها ماذا عملت في يومها الذي انقضى؟ وأين أنفقت وقتك؟ وفي أي شيء أمضيت ساعات يومك؟ هل ازددت فيه من الحسنات أم ازددت فيه من السيئات؟

● تربية النفس على علو الهمة:

فمن ربَّى نفسه على التعلق بمعالي الأمور والتباعد عن سفاسفها، كان أحرص على اغتنام وقته، ومن علت همته لم يقنع بالدون، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم:

إذا ما علا المرء رام العلا *** ويقنع بالدون من كان دوناً

● صحبة الأشخاص المحافظين على أوقاتهم:

فإن صحبة هؤلاء ومخالطتهم، والحرص على القرب منهم والتأسي بهم، تعين على اغتنام الوقت، وتقوي النفس على استغلال ساعات العمر في طاعة الله، ورحم الله من قال:

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم *** ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

عن المرء لا تسأل عن قرينه *** فكل قرين بالمقارن يقتدي

● معرفة حال السلف مع الوقت:

فإن معرفة أحوالهم وقراءة سيرهم لتكبر عون للمسلم على حسن استغلال وقته، فهم خير من أدرك قيمة الوقت وأهمية العمر، وهم أروع الأمثلة في اغتنام دقائق العمر واستغلال أنفاسه في طاعة الله.

● تنويع ما يُستغل به الوقت:

فإن النفس بطبيعتها سريعة الملل، وتنفّر من الشيء المكرر. وتنويع الأعمال يساعد النفس على استغلال أكبر قدر ممكن من الوقت.

● إدراك أن ما مضى من الوقت لا يعود ولا يُعوَّض:

فكل يوم يمضي، وكل ساعة تنتضي، وكل لحظة تمر، ليس في الإمكان استعادتها، وبالتالي لا يمكن تعويضها. وهذا معنى ما قاله الحسن: «ما من يوم يمرُّ على ابن آدم إلا وهو يقول: يا ابن آدم، أنا يوم جديد، وعلى عملك شهيد، وإذا ذهبت عنك لم أرجع إليك، فقدم ما شئت تجده بين يديك، وأخر ما شئت فلن يعود إليك أبداً».

● تذكُّر الموت وساعة الاحتضار:

حين يستدبر الإنسان الدنيا، ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو مُنح مهلة من الزمن، ليصلح ما أسد، ويتدارك ما فات، ولكن هيهات هيهات، فقد انتهى زمن العمل وحن زمن الحساب والجزاء. فتذكُّر الإنسان لهذا يجعله حريصاً على اغتنام وقته في مرضاة الله تعالى.

● الابتعاد عن صحبة مضيبي الأوقات:

فإن مصاحبة الكسالى ومخالطة مضيبي الأوقات، مهدة لطاقات الإنسان، مضيعة لأوقاته، والمرء يقاس بجليسه وقرينه، ولهذا يقول عبد الله بن مسعود: «اعتبروا الرجل بمن يصاحب، فإنما يصاحب الرجل من هو مثله».

● تذكُّر السؤال عن الوقت يوم القيامة:

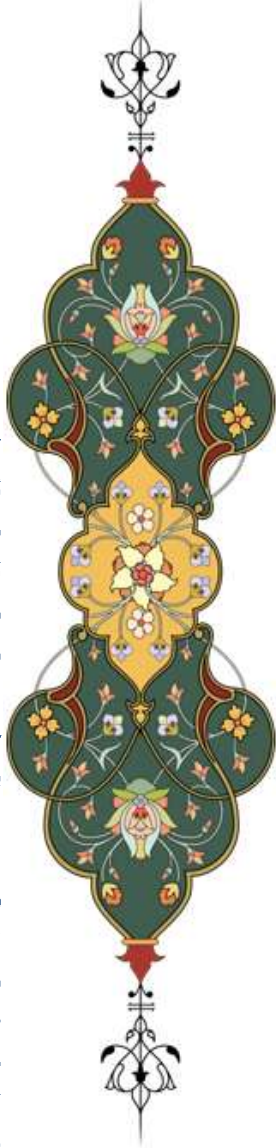
حين يقف الإنسان أمام ربه في ذلك اليوم العصيب فيسأله عن وقته وعمره، كيف قضاءه؟ وأين أنفقته؟ وفيم استغله؟ وبأي شيء ملأه؟ يقول: { لن تزول قدما عبد حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه؛ وعن شبابه فيما أبلاه... } [رواه الترمذي وحسنه الألباني].

تذكُّر هذا يعين المسلم على حفظ وقته، واغتنامه في مرضاة الله.

من أحوال السلف مع الوقت

قال الحسن البصري: «يا ابن آدم، إنما أنت أيام، إذا ذهب يوم ذهب بعضك». وقال: «يا ابن آدم، نهارك ضيفك فأحسن إليه، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك، وإن أسأت إليه ارتحل

كيف نستثمر أوقاتنا ؟



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فمن تتبع أخبار الناس وتأمل أحوالهم، وعرف كيف يقضون أوقاتهم، وكيف يمضون أعمارهم، علم أن أكثر الخلق مضيعون لأوقاتهم، محرومون من نعمة استغلال العمر واعتناء الوقت، ولذا نراهم ينفقون أوقاتهم ويهدرون أعمارهم فيما لا يعود عليهم بالنفع. وإن المرء ليعجب من فرح هؤلاء بمرور الأيام، وسرورهم بانقضائها، ناسين أن كل دقيقة بل كل لحظة تمضي من عمرهم تقرهم من القبر والآخرة، وتباعدهم عن الدنيا.

إننا لفرحُ بالأيام نقطعها

وكل يوم مضى جزء من العمر ولما كان الوقت هو الحياة وهو العمر الحقيقي للإنسان، وأن حفظه أصل كل خير، وضياعه منشأ كل شر، كان لابد من وقفة تبين قيمة الوقت في حياة المسلم، وما هو واجب المسلم نحو وقته، وما هي الأسباب التي تعين على حفظ الوقت، وبأي شيء يستثمر المسلم وقته. نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن طالت أعمارهم وحسنت أعمارهم، وأن يرزقنا حسن الاستفادة من أوقاتنا، إنه خير مسئول.

اغتنام الأوقات اليومية الفاضلة: مثل بعد الصلوات، وبين الأذان والإقامة، وثلاث الليل الأخير، وعند سماع النداء للصلاة، وبعد صلاة الفجر حتى تشرق الشمس. وكل هذه الأوقات مقرونة بعبادات فاضلة ندب الشرع إلى إيقاعها فيها فيحصل العبد على الأجر الكبير والثواب العظيم.

تعلم الأشياء النافعة: مثل الحاسوب واللغات والسياسة والكهرباء والنجارة وغيرها بهدف أن ينفع المسلم نفسه وإخوانه.

وبعد أخي المسلم فهذه فرص سانحة ووسائل متوفرة ومجالات متنوعة ذكرناها لك على سبيل المثال – فأوجه الخیر لا تنحصر – تستثمر بها وقتك بجانب الواجبات الأساسية المطلوبة منك.

آفات تقتل الوقت

هناك آفات وعواقب كثيرة تضييع على المسلم وقته، وتكاد تذهب بعمره كله إذا لم يظن إليها ويحاول التخلص منها، ومن هذه العواقب الآفات:

الغفلة: وهي مرض خطير ابتلي به معظم المسلمين حتى أفقدهم النسيء الواعي بالأوقات، وقد حذر القرآن من الغفلة أشد التحذير حتى إنه ليجعل أهلها حطب جهنم، يقول تعالى: (وَتَقَدَّرْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آدَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [الأعراف: 179].

التسوية: وهو آفة تدمر الوقت وتقتل العمر، وللأسف فقد أصبحت كلمة "سوف" شعاراً لكثير من المسلمين وطابعاً لهم، يقول الحسن: "إياك والتسوية، فإنك بيومك ولست بغدك" فإياك أخي المسلم من التسوية فإنك لا تضمن أن تعيش إلى الغد، وإن ضمنت حياتك إلى الغد فلا تأمن الموقفات من مرض طارئ أو شغل عارض أو بلاء نازل، واعلم أن لكل يوم عملاً، ولكل وقت واجباته، فليس هناك وقت فراغ في حياة المسلم، كما أن التسوية في فعل الطاعات يجعل النفس تعتاد تركها، وكن كما قال الشاعر:

ترؤد من التقوى فإنك لا تدري *** إن جنَّ ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من سليم مات من غير علة *** وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر
وكم من فتى يمسي ويصبح آمناً *** وقد نسجت أكفائه وهو لا يدري

فيبادر أخي المسلم باغتنام أوقات عمرك في طاعة الله، واحذر من التسوية والكسل، فكم في المقابر من قتيل سوف. والتسوية سيف يقطع المرء عن استغلال أنفاسه في طاعة ربه، فاحذر أن تكون من قتلاه وضحاياه.

وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بذمك، وكذلك ليلتك. وقال: "الدنيا ثلاثة أيام: أما أمس فقد ذهب بما فيه، وأما غداً ففعلك لا تدركه، وأما اليوم ففعلك فاعمل فيه".

وقال ابن مسعود: "ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي".

وقال ابن القيم: "إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها".

وقال السري بن المغلس: "إن اغتيمت بما ينقص من مالك فإبك على ما ينقص من عمرك".

بم نستثمر أوقاتنا؟

إن مجالات استثمار الوقت كثيرة، وللمسلم أن يختار منها ما هو أنسب له وأصلح، ومن هذه المجالات:

حفظ كتاب الله تعالى وتعلمه: وهذا خير ما يستغل به المسلم وقته، وقد حث النبي ﷺ على تعلم كتاب الله فقال: { خيركم من تعلم القرآن وعلمه } [رواه البخاري].

طلب العلم: فقد كان السلف الصالح أكثر حرصاً على استثمار أوقاتهم في طلب العلم وتحصيله؛ وذلك لأنهم أدركوا أنهم في حاجة إليه أكبر من حاجتهم إلى الطعام والشراب. واغتنام الوقت في تحصيل العلم وطلبه له صور، منها: حضور الدروس المهمة، والاستماع إلى الأشرطة النافعة، وقراءة الكتب المفيدة وشرائها.

ذكر الله تعالى: فليس في الأعمال شيء يسع الأوقات كلها مثل الذكر، وهو مجال خصب وسهل لا يكلف المسلم مالا ولا جهداً، وقد أوصى النبي ﷺ أحد أصحابه فقال له: { لا يزال لسانك رطياً من ذكر الله } [رواه أحمد وصححه الألباني]. فما أجمل أن يكون قلب المسلم معموراً بذكر مولاه، إن نطق فبذكره، وإن تحرك فبأمره.

الإكثار من النوافل: وهو مجال مهم لا يغتنم أوقات العمر في طاعة الله، وعامل مهم في تربية النفس وتركيبتها، علاوة على أنه فرصة لتعويض النقص الذي يقع عند أداء الفرائض، وأكبر من ذلك كله أنه سبب لحصول محبة الله للعبد { ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه } [رواه البخاري].

الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة للمسلمين: كل هذه مجالات خصبة لاستثمار ساعات العمر. والدعوة إلى الله تعالى مهمة الرسل ورسالة الأنبياء، وقد قال الله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) [يوسف: 108].

فاحرص أخي المسلم على اغتنام وقتك في الدعوة إما عن طريق إلقاء المحاضرات، أو توزيع الكتيبات والأشرطة، أو دعوة الأهل والأقارب والجيران.

زيارة الأقارب وصلة الأرحام: فهي سبب لدخول الجنة وحصول الرحمة وزيادة العمر وبسط الرزق، قال: "من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه" [رواه البخاري].